

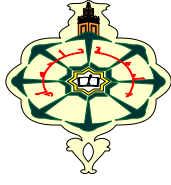
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العلي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

الملحقة الجامعية - مغنية -

قسم اللغة العربية وآدابها



مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس

في اللغة العربية وآدابها

المراثي النبوية حسان بن ثابت انموذجا

تحت إشراف الأستاذ:

عبدالصّمد عزوزي

من إعداد الطالبة:

فريدة زياني









بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ إِنَّ اللَّهَ لَكَلِيمٌ عَزِيزٌ ذُو جلالٍ

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي أَجِبُهُمْ وَنُصِرَهُم بِالْحَقِّ وَأُخْرِجُهُم

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ

الَّتِي كُتِبَتْ لِلنَّاسِ وَالنَّوَافِلِ وَأَن يَتَذَكَّرَ إِذْ أُنذِرَهُ حَذِرًا وَأَن تَتْلُوا

الْحِكْمَةَ وَتَتْلُوا فِيهَا حَقَّ تِلْوَاعِهَا وَتَذَكَّرَ بِهَا لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

# شكر و عرفان

بداية أتوجه بالشكر والحمد للمولى العزيز الكريم ،الذي أكرمي بنعمة العلم فكانت لي فرصة ثانية لأقطف ثمرة أخرى من ثمار العلم، أحمدك يا الله

ثم أتقدم بأصدق الشكر والعرفان وأعشق الإمتنان لأستاذي المشرف:

— الدكتور عبد الصمد عزوزي

على ما بذله من جهد ، ما قدمه من نصائح لي استعنت بها في انجاز هذا البحث بالإضافة الى تقديري واحترامي وشكري الجزيل لأستاذي المناقش :

— الدكتور محمد محي الدين

جزاه الله كل الخير

كما لا يفوتني بتقديم الشكر والعرفان الى :

— أساتذتي طيلة مشواري الدراسي هذا .

— جميع زملاء العمل وعلى مساعدتهم لي في إتمام مذكرتي

الحمد لله على كثير النعم وله الشكر على جلائل القسم، ربنا الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، بالحروف المعجمة التي هي من صيغ الكلمات منثورة و منظومة ، و خصّه من بين الحيوان باللغة، التي ينطق بها مسرودة مفهومة ، وميّزه بالبيان الذي فصل به العالم كما قال عز و جل أما بعد:

لعلّ من الفنون التي أجاد فيها الشعراء منذ القدم وعلى مرّ العصور الأدبية فن الرثاء ، ولعلّ أجودها و أرفعها منزلة، تلك التي قيلت في ما أصاب المسلمين من فاجعة فقد الحبيب المصطفى، خير خلق الله عليه أركى الصلوات و التسليم .

فكان ذلك موضوع بحثي الذي عنونته بـ : المرثي النبويّة "حسان بن ثابت" أنموذجاً، ومن بين التساؤلات التي تبادرت للذهن منها ما يلي: ما ماهية الرثاء ؟ كيف كان تطوره عبر العصور؟ ومن هو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وبما تميزت مرثيته للنبيّ ؟ ومن هنا حاولت توفير جلّ جهدي للإجابة عن هذه الإشكالية ، وفي إطلاع القارئ على هذا الجانب المهم من تراثنا .العربي ، لذا كانت خطوطي العريضة متمثلة في فصلين ، عنونت الأول منهما :ماهية الرثاء و تطوره عبر العصور .

فسلطت الضوء على العصر الجاهلي و عصر صدر الإسلام ، والثاني كان لشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم "حسان بن ثابت" بداية بتعريفه ، فشعره في الرسول صلى الله عليه وسلم و ختمت الفصل برثائه ونماذج شعرية .

وقد اعتمدت المنهج الوصفي التاريخي ، و استعنت بعدة مصادر و مراجع لتحقيق المبتغى فمنها القراءان الكريم،ولسان العرب لابن منظور وكذا تاج العروس للزبيدي و تاريخ الأدب العربي لعمر فروج،وكتاب الرثاء لشوقي ضيف .كما نهلت من عدة دواوين منها ديوان حسان بن ثابت الأنصاري وكذا شرح الديوان ،ديوان النابغة الذبياني،ديوان الخنساء،وغيرها من المصادر الأخرى ،ولم يكن الأمر هينا ،إذ واجهتني الكثير من الصعوبات أذكر منها ندرة بعض المصادر التاريخية ، و كذلك المراجع الحديثة، فوجدت قلة في الدراسات لهذا الموضوع\*المراثي النبوية \* مع ضيق في الوقت و عدة من الارتباطات أعاقني في الحصول على الزاد الوفير حول المراثي النبوية . و أخيرا أوجه خالص شكري و امتناني إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد الصّمد عزوزي ،الذي أعانني في البحث و ذلك بتوجيهه و نصائحه القيّمة ، فجزاه الله كل خير .





## تكميل

لكل أمة مراثيها ، والأمة العربية من الأمم التي تحتفظ بتراث ضخم من المراثي ، فبكى الشاعر بالدموع الغزار ، ونظم أشعارا يبث فيها لوعة قلبه وحرقة . والتي انبعثت من أعماق النفس وذلك منذ أن وجد الإنسان ووجدت معه حتمية الموت .

فكان امتداد وصدي هذه المراثي عبر العصور منها الجاهلي والإسلامي ، و يعتبر الإسلام أهم حدث عرفته الخليقة ، بعثه الله عزّ وجلّ للسيد خير العباد المصطفى الأمين عليه أركى الصلوات والتسليم لنشره .

فالأمة المسلمة فُجعت لفقد البشير النذير ، فجادت قرائع الشعراء في رثاءه وبكائه ، فبرزت على ساحة الحركة الأدبية مراثى نبوية عظيمة ورفيعة وجليلة على قدر ومكانة من قيلت فيه « محمد صلى الله عليه وسلم » .

فوجد من نظم في رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم العديد، منهم على سبيل المثال لا الحصر :عبد الله بن رواحة ، عمر بن الخطاب ، كعب بن مالك ،

حسان بن ثابت فحل من فحول الشعراء الذي استحق لقبه « شاعر الرسول  
«بامتياز... وغيرهم»<sup>1</sup>.

---

1: المراثي النبوية ، رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير، احمد حاجي ،السنة الجامعية 1422هـ - 2001 م - 2002 م ص  
62 بتصرف







## مفهوم الرثاء

### الرثاء في اللغة:

الرثاء أصله من المادّة: رَثَا، يَرِثُو، رَثُوا، ورَثَى، يَرِثِي، رَثِيًّا، ورثاءً، رَثَايَةً، ومرثيةً الميِّت: بكاءٌ وعدُّ محاسنه، نظم فيه شعراً. «رثى له»، رَقَّ له ورحمه.

رَثَى، يَرِثِي، رَثَايَةً عنه حديثاً: حفظه وذكره.

رَثِي، يَرِثِي، رَثَى، ورَثِيًّا كان به رَثِيَّةً. -

رَثَى ورَثَى الميِّت: بمعنى رثاه، الرثاءُ والرثاية النَّوَاحِي.

المَرثاةُ والمَرثِيَّةُ: ما يُرثى به الميِّتُ من شعر وسواه وجمعه مرات.<sup>1</sup>

ومن تعريفاته كذلك: "رثأتُ الرَّجُلَ رَثًا": مدحته بعد موته، لغة في رَثِيَّتِهِ.

ورثأتُ المَرأةَ زوجها، كذلك؛ وهي المَرثِيَّةُ.

وقالت امرأة من العرب: «رثأتُ زَوْجِي بِأَبْيَاتٍ»، وهمزت، أرادت رَثِيَّتَهُ.<sup>2</sup>

ويقال: «رَثَيْتُ الميِّتَ بالشَّعْرِ، وَقُلْتُ فِيهِ مَرثِيَّةً وَمَرَاثٍ، والنَّاحَةُ تَرَثِي الميِّتَ: تَنرَحِمُ عَلَيْهِ

وتَندبُهُ».<sup>3</sup> وأيضا: "رَثَوْتُهُ إِذْ بَكَيْتُهُ وَعَدَدْتُ مَحاسنه، كَرَثِيَّتِهِ تَرَثِيَّةً

والمَرثِيَّةُ: البُكاءُ عَلَى الميِّتِ، وكذلك إِذَا نَظَمْتُ فِيهِ شعرا " .<sup>4</sup>

<sup>1</sup> : منجد الطلاب ، نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد إفرام البستاني ، دار المشرق ، ط22 ، لبنان ، بيروت ، 1986 ، ص 230 .

<sup>2</sup> : لسان العرب ج1 ، ابن منظور ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، ط 1 ، 1424 هـ ، 2003 ، ص 102 .

: نقل عن المرثي النبوية في صدر الإسلام، رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير، أحمد حاجي، 1422هـ - 2001م - 2002م، ص 39 وينظر أساس البلاغة.<sup>3</sup>

<sup>4</sup> : تاج العروس في جواهر القاموس ، الزبيدي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط ، مج 10 / (مادة رثى) .

## الرثاء في الاصطلاح

الرثاء من الأغراض الشعرية البارزة في التراث العربيّ ، بُروز حتمية الموت، وهو فرصة للتعبير عن الشّعور الصادق ، الذي يفيض حسرة ونشيجًا ، إذ وجد الشّاعر أمامه هذا القضاء الذي لا مفرّ منه، " وهو يكاد يتعمّق في القدم منذ وجد الإنسان ووجد أمامه مصير الموتوالفناء... " <sup>1</sup>.

الرثاء بكاء الميّت و التّفجع عليه وإظهار اللّوعة لفراقه والحزن لموته ، وعدّ خلاله الكريمة ، وهو عند العرب البادية تشييع الميّت، بمشي الأقارب خلف الجنازة حفاة ويحلّ النّساء شعورهنّ ، وتلطّيح رؤوسهنّ بالرّماد. وقد تحلق النّساء رؤوسهنّ حزناً على الميّت. <sup>2</sup>

الرثاء موطن العاطفة الحزينة، يصف فيه الشّاعر المرثيّ بجميع الصّفات التي يصف بها الممدوح ، إلا أنّ هناك قرائن تدل على أنّه ميّت.

الشّاعر يُعبر عن الحزن واللّوعة التي تنتابه لغياب عزيز فُجع بفقده ، ويُعدّد مناقبه والإشادة بمآثره والتّوجّع عليه ، وتتردّد في الرثاء سطوة الموت، وسلطان الفناء، ويتضمن أبياتا تدعو إلى الاعتبار والزّهْد .

والرثاء حقيقة مديح للميّت، ويتصل بالأنواع ، وهو(أي الرثاء) الشّعْر الذي كانت تنوح به النّساء على الميّت <sup>3</sup>، وأيضا تعبيراً عن فقد من ينزلون منزلة المحبة ، فقد غنيّ بعاطفة الحبّ ، إذ يتجلّى فيه الاستعاضة بالبكاء والنّحيب <sup>4</sup>.

ويؤخذ الرثاء ثلاثة أنماط : فقد يكون ندبًا ، وقد يكون تأبينًا ، وقد يكون عزاءً.

<sup>1</sup> : الرثاء ،شوقي ضيف ، دار المعارف ،ط2، مصر، 1955 ، ص 05 .

<sup>2</sup> :الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام ، حسن جاد حسن ، دار العرب ، دمشق ، ط1 ، 2012 ، ص 147 .

<sup>3</sup> : تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1981 ، ص 83  
<sup>4</sup>نقلا عن المرثي النبوية في عصر صدر الإسلام، ص 41.

**أ - النَّدْب :** وهو التَّعبير عن المشاعر في لوعة وتفجُّع، وحسب ابن منظور «النَّدب نَدب الميِّت بعد موته غير أنَّه يقيَّد بكاء، وهو من النَّدب للجراح ، لأنَّه احتراق و لذع»<sup>1</sup>، والنَّدب هو بكاء الميِّت وصفاته الحميدة.

**ب - النَّابِين :** وهو نمط شعري من أنماط الرِّثاء ، كان يعني التَّناء على الشَّخص حيًّا أو ميِّتًا، ثمَّ اقتصر استخدامه على الموتى فقط ، ويقول فيه الزَّمخشري (ت 538 هـ) بقوله : «...أَبَّنه: مدحه وعدَّ محاسنه . تقول: لم يزل يقرِّضُ أحياكم ويُؤبِّن موتاكم»<sup>2</sup> وهناك صلة بين النَّابِين والمدح .

**ج - العزاء :** وهو كما عرفه المُبرِّد (ت 288 هـ) : «وتعزِّيكَ الرَّجُل تسليتك إيَّاه ، والعزاء هو السُّلُوُّ وحسن الصَّبْر على المصائب ، وخير من المصيبة العوضُ منها، والرَّضى بقضاء الله وقدره

والتَّسليم لأمره ، تنجِّزًا لما وعد من حسن الثَّواب»<sup>3</sup>. وهو مرتبة عقلية فوق مرتبة النَّابِين ، وهو قريب من الرِّثاء وإن كان مذهبه تهوين المصاب وبتُّ السُّلوى والحضُّ على الصَّبْر، والتَّأسِّي بالسَّلف الهالك .

ومن هنا نجد الرِّثاء هو تجاوز الشَّاعر لحادثة الموت

الفردية إلى التَّفكير في جوهر الموت والحياة ليخلص، إلى معان فلسفية عميقة .

<sup>1</sup> : لسان العرب : مادة ( ندب ) ، ص 754 .

<sup>2</sup> : أساس البلاغة ، الزمخشري ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، لبنان ، ص 01 .

<sup>3</sup> : نقلا عن المرآة النبوية في صدر الإسلام ، رسالة ماجستير ، أحمد حاجي ، ص 78 ، وينظر إلى التعازي والمرآة .

## الرثاء في العصر الجاهلي:

الجاهليّة جاهليّتان : واحدة ضاربة في أعماق التّاريخ ، تضمّ تاريخ العرب العاربة والعرب المستعربة ، و سبأ وحمير، والعماليق الذين سكنوا مكّة ، والأمم التي خسف الله بها الأرض من مثل قوم هود و صالح.

والثانية : هي الجاهليّة المتأخرة التي سبقت الإسلام مباشرة ، تتراوح مدّتها بين 150 - 200 سنة تقريبا ، وهي الجاهليّة التي وصلتها آثارها متمثلة في أخبارها وأشعارها وأمثالها ، وخطب خطبائها وأساطيرها... وهذه الجاهليّة هي التي نطلق عليها اسم « العصر الجاهليّ »

ولم يترك العرب الجاهليّون فنّاً أفضل من الشّعْر، و قد برعوا في هذا الفنّ براعة بدواً فيها غيرهم من الأمم المعاصرة، ووظفوا فيه لغتهم التي تناهت إليهم غنيّة متينة البناء ، فقالوا « الشّعْر ديوان العرب »<sup>1</sup>.

ويعتبر هذا العصر من أغنى العصور الأدبية عند العرب شعرا. فله أثر كبير في هيكله الشّعْر في العصور التالّية له شكلا و مضمونا.

والشّاعر كما قيل هو لسان قومه وقبيلته يوزع مناقبها، يُدافع حريمها ، مادحا أبطالها ، يهجو أعداءها. يرثي موتها وقتالها ويفخر بمناقبها ، فيرفع شأن من يُريد و يُخفض بمنزلة من يعارضه . كما أنّه يُشجع الأبطال للقتال ، يقويهم بأبياته ويهزم الأعداء بتمزيق شوكتهم . فهو راية القبيلة وسيفها القاطع .

والرثاء هو من الأغراض الرئيسيّة التي تناولها الجاهلي.

فهو عند الرثاء إمّا يبدأ القصيدة بالمنهج الجاهليّ المعروف ، وإمّا يباشر فيها بالرثاء لطغيان عواطفه وأحاسيسه ، وتسليمه أمام مشاعره دون مراعاة للأسلوب السائد على القصيدة آنذاك.

<sup>1</sup> : تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، مصطفى أسيوبي ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش م م ، ط 1 ، القاهرة ، مصر ، 2008 .

فالشاعر باتباعه المنهج الشعريّ الجاهليّ كان يقف على الأطلال وبقايا منزل الحبيب ، فيبكي ويسأل الأشياء عن حبيبه ، ثمّ ينتقل إلى الصحراء بالركوب على جمل قويّ سريع ، فيصف ما تقع عليه عيناه . ثمّ يدخل في الرثاء . وهذا ما نجده في قصيدة للنابغة الذبياني في رثائه للنعمان الغسانيّ و منها :

**دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَ اسْتَجْهَلْتُكَ الْمَنَازِلُ**  
**وَقَفْتُ بَرَبْعِ الدَّارِ، قَدْ غَيَّرَ الْبَلَىٰ**  
**وَكَيْفَ تُصَابِي الْمَرْءَ وَ الشَّيْبُ شَامِلٌ؟**  
**مَعَارِفَهَا، وَ السَّارِيَاتُ الْهَوَاطِلُ(1).**

والغالب أنّ الشاعر كان يدخل مباشرة في الرثاء ، لحزنه الشديد والتموجات العاطفية الحادة في نفسه ، مما كانت تُضيّق عليه المجال على متابعة المنهج المعروف ، فتجري الكلمات في مجرى عاطفي حزين فيستهل رثاءه بما يظهر من حزنه فيزيده ذكر المرثي حزنًا على حزنه ، ودموعًا على دموعه فتطول له الليالي ، فيصرخ الشاعر بتفجعه في مستهل القصيدة

و لعلّ أول مرثية عند العرب هي مرثية حمير لأبيه سبأ التي جاء فيها :

**فَيَوْمُكَ يَوْمٌ وَجِيعُ الْعَزَا**  
**فَلَا تَبْعُدَنَّ فُكْلُ إِمْرِيء**  
**فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا التَّقَىٰ**  
**وَرُزُوكَ فِي الدَّهْرِ رِزْءٌ جَلَلٌ ،**  
**سَيُذْرِكُهُ بِالْمَمْنُونِ الْأَجَلُ ،**  
**وَدَاكَ لِعَمْرِي أَبْقَى الْعَمَلِ**

فالأبيات هذه تظهر كأننا في رثاء للإنسان بوجه عام ، فلا يظهر الإفراط في التّفجع . فالشاعر يتعزّى بالتّقوى الذي هو زاد الإنسان في هذه الحياة . (2)

فقد اشتهر في قول الرثاء عدّة شعراء يذكر منهم المبرّد

في الكامل حيث قال : « كانت العرب تقدم مرثي وتفضلها ، وترى قائلها بها فوق كلّ مؤبّن » . وكأّهم يرون ما بعدها من المرثي منها أخذت وفي كنفها تصلح...ثمّ ذكر منها قصيدة أعشى باهله يرثي بها المنتشر بن وهب الباهليّ و ساق خبرها . وروى قصيدة متمّم بن نويرة في أخيه مالك ، وهذه القصائد هي عيون المرثي ونجدها كذلك عند محمّد بن أبي الخطّاب القرشيّ في كتابه مذكورة « جمهرة أشعار العرب » ، ومنها

<sup>1</sup> ديوان النابغة الذبياني ، الشاعر الجاهلي الشهير ، نقلًا عن ديوان الشعراء الخمسة ، مطبعة الهلال بالفجالة ، مصر ، سنة 1911 ، ص 83

<sup>2</sup> : الإكليل ، أبو محمد الحسن ، تعليق نبيه أمين فارس ، دار العودة ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 178



كذلك مرثية أبي ذؤيب الهذلي وعلقمة بن ذي جدن الحميري ومحمد بن كعب الغنوي وأبي زيد الطائي ومالك بن الريب<sup>(1)</sup>.

ومن أعلام الرثاء في العصر الجاهلي نجد : أبو ليلى المهلهل ومن شعره في رثاء أخيه كليب قوله :

أَهَاجُ قَدَاةَ عَيْنِي الْأَذْكَارُ      هُدُوءًا فَالْدُمُوعُ لَهَا انْحِدَارُ .  
وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا      كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ .  
وَبِتُّ أَرَأِيبُ الْجَوَازِءَ حَتَّى      تَقَارِبَ مِنْ أَوَائِلِهَا انْحِدَارُ .  
دَعَوْتُكَ ، يَا كَلِيبُ ، فَلَمْ يُجِئْنِي      وَكَيْفَ يُجِئُنِي الْبَلَدُ الْقِقَارُ .  
وَإِنَّكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالِ      وَتَعْفُو عَنْهُمْ وَلكَ إِقْتِدَارُ .<sup>2</sup>

كما نجده يرثيه في الأبيات الآتية :

كَلِيبُ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا      إِنَّ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يُخْلِيهَا .  
كَلِيبُ أَيُّ فَتَى عِزٍّ وَمَكْرَمَةٍ      تَحْتَ الصَّفَاةِ الَّتِي يَعْلُوكَ سَاقِيهَا .  
نَعَى النَّعَاهُ كَلِيبًا لِي فُقِلْتُ لَهُمْ :      سَأَلْتُ بِنَا الْأَرْضُ أَوْ زَالَتْ رَوَاسِيهَا .<sup>3</sup>

ومن الشعراء الجاهليين ، التي كثر في شعرهن الرثاء نجد : الخرنق بنت بدر وهي أخت طرفة بن العبد لأمه ولما قُتِلَ طرفة وبلغ خبر مقتله إلى أخته رثته فقالت :

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعِشْرِينَ حَجَّةً ،      فَلَمَّا تَوَفَّاهَا إِسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا  
فَجِئْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَابَهُ      عَلَى خَيْرِ حَالٍ ، لَا وَليدًا وَلَا قَحْمًا .

ففي الأبيات تذكر أخاها ، بأنه ساد قومه ، وهو ابن ست وعشرين سنة ، وأنه مات في غيبة عن قومه ، (في رحلته إلى اليمن )

وقالت كذلك وهي ترثي زوجها عمرو بن بشر ونفرا آخرين

<sup>1</sup> : تاريخ آداب العرب ج3 ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتب العلمية ، د ط ، بيروت ، لبنان ، ص 82 .

<sup>2</sup> : تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 4 ، 1981 ، ص 110 .

<sup>3</sup> : موسوعة المبدعون ، الرثاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، د ط ، د ت ، ص 7 ، 8 .

من قومه سقطوا معه قتلى في يوم قلاب:

أَلَا أَلَيْتُ أَسَى بَعْدَ بَشْرٍ  
عَلَى حَيٍّ يَمُوتُ وَلَا صَدِيقٍ  
وَبَعْدَ الْخَيْرِ عَلْقَمَةَ بَنُ بَشْرٍ  
إِذَا نَزَّتِ الْنُفُوسُ إِلَى الْحُلُوقِ؛  
فَكَمْ بِقَلَابٍ مِنْ أَوْصَالِ خِرْقٍ  
أَخِي ثِقَةً وَجُمُجْمَةً قَلِيقٍ ....

وقالت أيضا :

لَا يَبْعُدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ  
سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفَّةَ الْجُزُرِ  
أَلَنْزَالُونَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ  
وَأَلَطِيبُونَ مَعَاقِدِ الْأَزْرِ.  
وَأَلْخَالِطُونَ لَجَيْنَهُمْ بِضَارِهِمْ،  
وَدَوِي أَلْغِنِي مِنْهُمْ بِذِي أَلْفَقْرِ<sup>1</sup> .

ومن شعراء الرثاء كذلك ، في العصر الجاهلي "طَفِيلُ الْعَنَوِيُّ"، وهو شاعر جاهليٌّ من فحول الشعراء المعدودين يقول فيه الأصمعيّ: « طفيل عندي في بعض شعره أشعر من امرئ القيس ». أما فنون شعره فهي الحكمة، والفخر، والحماسة، والمدح، والوصف ، والغزل ، والرثاء ، ومن رثاءه الذي قاله في نفر من قومه :

تَأْوَبْنِي هَمٌّ مِنْ أَلَّلِيلِ مُنْصَبٍ ،  
وَجَاءَ مِنْ أَلْأَخْبَارِ مَالًا أَكْذَبُ .  
تَتَابَعَنَ حَتَّى لَمْ تَكُنْ لِي رَيْبَةً  
وَلَمْ يَكْ عَمَّا خَبَرُوا مُتَعَقِبُ .  
كَوَاكِبِ دُجْنٍ كَلَّمَا انْقَضَ كَوَكَبُ  
بَدَا - وَأَنْجَلَى عَنهُ الدُّجْنَةُ - كَوَكَبُ  
لَعَمْرِي ، لَقَدْ خَلَى ابْنَ جُنْدَعٍ ثَلَمَةً؛  
وَمِنْ - أَيَنْ إِنْ لَمْ يَرِ أَبِ اللَّهِ - تَرَابُ

وله في الرثاء أيضا :

مَا أَنَا بِالْمُسْتَنْكَرِ أَلْبَيْنِ ، إِنَّنِي  
بِذِي لَطْفِ أَلْجِيرَانَ قَدَمًا مُفَجَّعٍ  
جَدِيرٌ بِهِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ صَحْبَتُهُمْ ،  
إِذَا أُنْسٌ عَزُّوا عَلَيَّ وَتَصَدَّعُوا .  
إِنِّي بِأَلْمَوْلَى أَلَّذِي لَيْسَ نَافِعِي  
- وَكَأَضَائِرِي فُقْدَانُهُ - لِمُمْتَعٍ<sup>2</sup> .

ومن رثاء العصر الجاهليّ، نجد ما قاله أعرابيٌّ في رثاء رجل فيقول :

1 تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، من ص 148 إلى 150  
2: المرجع السابق ، من ص 175 إلى ص 178.

وَلَهْفَ الْبَاكِياتِ عَلَى قِصِيٍّ،

مُتَالِفَ بَيْنَ حَجْرٍ وَالسُّلَيِّ

جَرِيرَةَ رُمْحِهِ فِي كُلِّ حَيٍّ .

أَلَا لَهْفَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى قِصِيٍّ

لِكُنِّي خَشِيتُ عَلَى قِصِيٍّ

وهذا الشعر من أجفى أشعار العرب ، يبني صاحبه أن تقديره في المرثي أن تكون منيته قتلا ، ويتأسف من موته حتف أنفه ، على أن هذه الأمنية لها دلالة على فخر العرب بأن يكون الميِّت مقتولا ، وشرفهم أن يسقط الرَّجُل منهم ، في الحرب ليكون فخرا في الشَّجاعة والإقدام<sup>1</sup> .

الشاعر الجاهلي كان يشكو من غربته بعد المرثي ، فيجمع بين عذاب الفراق ، والتذاذب بذكره واستحضاره وشجاعته، ولتأكيد ألمه وحسرتة له ، فهو يستخدم الاستفهام لتقرير أن العمر يمرّ وينتهي والموت شامل لا مفرّ منه ، وهذا لتعميم المصيبة وتنفيس المصاب وارتياحه كما يقول لبيد في رثاء أربد :

لُرُومُ الْعَصَا تُحْنِي عَلَيْهِ الْأَصَابِعُ .

أَيْسَ وَرَائِي أَنْ تَرَأَيْتُ مَنِيَّتِي

ويقول أيضا :

وَأَيُّ كَرِيمٍ لَمْ تُصِبهُ الْقَوَارِعُ<sup>2</sup>.

أَتَجَزَعُ مِمَّا أَحْدَثَ الدَّهْرُ بِالْقَتَى

وشاعر الجاهليّة في رثائه يصف المرثي بجميع الصّفات الفاضلة، ويخلع عنه ما يُعيبه من الصفات . يقول في ذلك " بطرس البستاني " :

« هم يصفون الميِّت بجميع الفضائل أَلْتِي يُفَاخِرُونَ ويمدحون بها »

فنجد لبيد بن ربيعة يقول في أخيه أربد راثيا :

دُو نَهْمَةٍ فِي الْعُلَا وَمُنْتَقَدٍ ،

أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ غَابَةِ لَحْمٍ

مُرٌّ لَطِيفُ الْأَحْشَاءِ وَالْكَبِدِ<sup>3</sup>.

حُلُوٌّ كَرِيمٌ وَفِي حَلَاوَتِهِ

فالمرثي في الشعر الجاهلي يُوصف بالشَّجاعة والأمال البعيدة

<sup>1</sup> : المرثي النبوية في عصر صدر الإسلام ، ص 45 وينظر الى الكامل في اللغة والادب ، المبرّد ، ج 2 ، ص 324

<sup>2</sup> : انظر الى الحاشية من المجاني الحديثة من أفرام البستاني ج 1 ، ص 115 .

<sup>3</sup> : ينظر الى بطرس البستاني ، أدباء العرب في العصر الجاهلية والاسلام ، ص 61

والعاليّة وحسن الخلق ، وبأنّه مُكرم أصدقائه ومخوف أعدائه، فهو حلِيم وله الهيبة:

**حَلِيمٌ إِذَا مَا الْجِلْمُ زَيْنَ أَهْلُهُ      مَعَ الْجِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مُهَيَّبٌ<sup>1</sup>.**

كما نجده (أي المرثي) ، عند شعراء آخرين نحيل الجسم مُندرس الثوب لا من فقر ، لأنّه في سعة العيش ، بل رجحانه الآخرين عن نفسه ، فهو زاهد جواد في فقره وبؤسه ، لا في الغنى فقط . كما يقول دريد بن الصّمة :

**تَرَاهُ حَمِيمِصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ      عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدِّدِ ،**  
**وَإِنْ مَسَّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْجُهْدُ ، زَادَهُ      سَمَاحًا وَإِثْلَافًا لِمَا كَانَ فِي الْيَدِ<sup>2</sup>.**

كما يصف الشّاعر المرثي بأنّه لم يكتسب الفضائل طوال حياته ، بل هي طبيعة لمرثيه :

**الْحَزْمُ وَالْعَزْمُ كَانَا مِنْ طَبَائِعِهِ      مَا كُلُّ الْآئِنَةِ يَا قَوْمُ أَحْصِيهَا**

وهو بتعداد فضائل المرثي وتذكره ، لا يقدر النّوم :

**أَلَيْلَتْنَا بِذِي حُسْمٍ أَنْيْرِي      إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحُورِي<sup>3</sup>.**

كما نجد في من مسّتهم مصيبة الموت ، وقد ثقلت عليهم ، فلا يستطيعون نسيان المُتوفى ، فيبكي الشّاعر حتّى تأتيه المنية كما تقول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

**فَلَا وَاللَّهِ لَا أُنْسَاكَ حَتَّى      أَفَارِقَ مُهْجَتِي وَيُشَقَّ رَمْسِي**

وتقول كذلك :

**وَسَوْفَ أَبْكِيكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ      وَمَا أَضَاعَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارِي .**

فهي لا تقدر أن تتحمل فراق أخيها المتخلق بالأخلاق الكريمة والفضائل العالية ، التي مدحته بها ، فموته أعظم مصيبة رآها الإنس والجنّ فتذكر في قولها :

<sup>1</sup> : ينظر الى شعراء النصرانية ، لونييس شيخو ، ص 748 .

<sup>2</sup> : نفس المرجع ، ص 759 .

<sup>3</sup> : المجاني الحديثة ج 1 ، ص 237 .

فَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ رُزْءَ لَجِينِ

وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ رُزْءَ لِيَأْسِ .<sup>1</sup>

فالخنساء ليست الوحيدة في رثاء أقربائها . فنجد غيرها من الشواعر اللاتي فُجعن بموت إخوتهنّ وآبائهنّ ، منهنّ سُعدى بنت الشّمردل الجهنّيّة في رثاء أخيها أسعد إذ مات مقتولا :

أَمِنَ الْحَوَادِثِ وَالْمُنُونِ أَرْوَعُ

وَأَبَيْتُ لِيَلِي كُؤْلَهُ لَا أَهْجَعُ

أَبَيْتُ مُحَلِيَةَ أَبِكِي أَسْعَدَا

وَلِمِثْلِهِ تَبْكِي الْعُيُونُ وَتَهْمَعُ

إِنَّ الْحَوَادِثَ وَالْمُنُونِ كِلَيْهِمَا

لَا يُعْتَبَانِ وَلَوْ بَكَى مِنْ يَجْزَعُ<sup>2</sup>

الرثاء في العصر الجاهليّ عموما ، تعبيرا عن عاطفة قوية قد تكون عاطفة إخوة ، أو أبوة ، أو أمومة ، أو عاطفة تعكس العلاقة الاجتماعية بين الشّاعر وأشرف قبيلته .

كما أنّنا نقف أمام قصائد نلمس فيها رثاء إنسانيّ شامل ، ونجد أحيانا العاطفة تتخللها الحكمة فتمزج الصّلابة بالرّقة . والرثاء في هذا العصر كان ممزوجا بين التّدب والتّأبين والعزاء سواء في قصيدة واحدة أو قصائد شتّى .

عبّر الشّعراء عن فاجعتهم وحزنهم بأصدق التعبيرات ، فبرزت وجادت قرائحهم بمراثي نلمس فيها الشّعور الصّادق الحزين يقوم على عدم التّصنع في القول ، وبهذا يكون الرثاء من أجود الشّعور ، في الجاهليّة والعصور اللاحقة لها .<sup>3</sup>

<sup>1</sup> : ديوان الخنساء ، ص 85 ، ص 89 ، ص 84

<sup>2</sup> : شاعرات العرب ، تحقيق عبد البديع صقر ، منشورات المكتب الإسلامي ، ط 1 ، الدوحة ، قطر ، 1387 هـ - 1967 م ، من ص 159 إلى ص 163 .

<sup>3</sup> : المراثي النبوية ، بتصرف



## الرتاء في عصر صدر الإسلام :

سطع نور الإسلام على البلاد العربيّة ، فكان أعظم البشريّة جمعاء ، إلى تغيير معالم الحياة العربيّة التي كانت سائدة في عصر الجاهليّة ، وذلك بما حمله من قيم إنسانيّة جديدة ، فجمع شتات القبائل المتناحرة ، فالتقت على كلمة الحقّ وعلى هذا الدين الجديد ، فجعل منها خير أمة أخرجت للنّاس ، ودأب على استئصال طبائع الجاهليّة ، جاعلا مدار التفاضل بين النّاس على التّقوى والعمل الصّالح.

فحدود عصر صدر الإسلام تبتدئ بانبثاق فجر الدّعوة الإسلاميّة ، وينتهي بانتهاء دولة الخلفاء الرّاشدين رضوان الله عليهم ، فهو مستقلّ إذن عن العصور التي لحقته الأمويّ والعباسيّ...

إنّ الشّعريّ في العصر الجاهليّ أدّى دوره الاجتماعيّ متمثلا في الكرم والشّجاعة، وغيرها من القيم والمثل العليا ، حتّى جاء الإسلام فهذبه وقوّاه ، ورفع من شأنه ، وأسقط ما في الجانب الاجتماعيّ من تفاخر بالأنساب والأخذ بالثأر وغير ذلك<sup>(1)</sup> إلاّ أنّه قيل إنّ حركة الأدب أصابها بعض الرّكود في صدر الإسلام ، ولكن هذا نسبيّ مقارنة إلى ما كان عليه في العصر الجاهليّ وإلى ما سيكون في العصور التّاليّة .

كما جاء في " طبقات الشّعراء " لمحمّد بن سلام الجُمحيّ عن عمر بن الخطّاب رضيّ الله عليه أنّه قال : « كان الشّعريّ علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد ، وغزوا فارس والرّوم ، ولهت عن الشّعريّ وروايته »<sup>2</sup>.

والإسلام كان له موقفه من الشّعريّ ، موقفا يعمل على خدمة الشّعريّ لتعاليم الدّين ، وعدم التّعارض معها وتجسد ذلك في قول المولى عزّ وجلّ في سورة الشّعراء حيث يقول : ( **وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ نَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ، وَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ**

<sup>1</sup> نقلا عن المراثي النبويّة ، رسالة ماجستير ، بتصرف

<sup>2</sup> :الموجز في الأدب العربي وتاريخه مج 1 ،حنا الفاخوري ، دار الجيل ، ط 3 ، بيروت ، 1424 هـ ، 2003 م ، ص 427 ، وينظر الى طبقات الشعراء ص 10

مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَانْتَصَرُوا مِنْ  
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ<sup>1</sup> .

فهنا في الآية الكريمة ترخيص للشعراء المؤمنين الملتزمين بالعمل الصالح ، وذكر  
الله أنه يمكنهم من نظم الشعر الذي يُساعد على نشر الإسلام ويحث على مكارم الأخلاق  
كما نجد أن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر لا يتنافى مع ما جاء في  
القرآن ، فهو يُعجبه ، ويمدح به ، ويثيب عليه حيث قال : **« إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ ،  
وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا »** ، فهو يستحسنه وحث على نظمه بمقدار موافقته للحق .

لقد حافظ شعراء صدر الإسلام على أغراض شعر الجاهلية محافظة ملفتة للانتباه ،  
مبتعدين عن كل ما يُنافي الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة ، وهُذبت بعض الأغراض ،  
كالمدح الذي لم يبق على الصورة التي كان عليها في إطراره وتملقه ، وكذلك نجد نفس  
الشيء مع الفنون الأخرى كالهجاء والفخر والرثاء .

ففنّ الرثاء شهد ازدهارا وأصبح وعاءا للمفاهيم الجديدة ، فالموت لم يصبح تجربة  
فردية فحسب ، بل يتجاوزها إلى تجربة جماعية ، بما يخلفه من أثر؛ ولعلّ وفاة الرسول  
صلى الله عليه وسلم كانت تجربة أمة بأكملها . ففكرة الموت في هذا العصر عرفت دلالات  
وميزات جديدة فأصبح بعد مجيء الإسلام شهادة ، كما تجلت في الرثاء الثقافة الإسلامية  
بشكل أوضح .

ويعدُّ بعض النقاد الرثاء من أسمى فنون الشعر ، وغالبا ما يصعب على المبدعين،  
" لأنه يعمل رغبة لا رهبة " وقيل لإعرابي : « ما بال المراثي أجود شعركم ؟ فقال: لأننا  
نقول وأكبادنا تحترق...وكانت بنو أمية لا تقبل الرواية للمراثي إلا أن يكون رواية  
للمراثي ، وقيل لم ذلك ؟ قيل: لأنها تدل على مكارم الأخلاق»<sup>2</sup>

والحق أنّ الرثاء فنّ وجداني يقوم على وصف الميت، وذكر محاسنه في الحياة ويتميّز  
بشرف المعاني ،والجمع بين الحكمة والتأمل . وأصبح في هذه الفترة ( صدر الإسلام ) - على

<sup>1</sup> : سورة الشعراء من الآية 224 إلى الآية 227 .  
<sup>2</sup> : المراثي النبوية ، بتصرف ص 3 ، 4 .

البكاء - أدعية بالرحمة والمغفرة ، فالشعراء حاولوا أن تتجلى حالتهم الانفعالية من الألم العميق في قصائدهم ويكونوا خير مثال في الصبر ، وبخاصة إذا كان المرثي شهيد غزوة أو فتح .

ومن رثاء الشهداء في ما قاله كعب بن مالك في رثاء "حمزة بن عبد المطلب" (رضي الله عنه) منها :

طَرَقْتُ هُمُومَكَ فَالرُّقَادُ مَسَهَّدُ

وَجَزَعْتَ أَنْ سُلِّحَ الشَّبَابُ الْأَعْيَدُ .

وَدَعْتَ فُؤَادَكَ لِلْهُوَى ضِمْرِيَّةً

فَهَوَاكَ غُورِيٍّ وَصَحْبُكَ مُنْجِدُ .<sup>1</sup>

وهو استهلال غزليّ يقول فيه : طرقتني الهموم فأرقت ، وجزعت أن ولى الشباب الناعم ، وعاوده الهوى والشوق ؛ وهو يجري في هذا الأنموذج على ما ألفه العرب من شكل القصيدة ، ثم يتلخص من كل هذا إلى رثاء حمزة (رضي الله عنه) فيقول :

وَلَقَدْ هُدَيْتُ لِقَدْحِ حَمْزَةَ هَدَّةً

ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تُرْعِدُ

وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ

لَرَأَيْتَ رَوَاسِيَّ صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ<sup>2</sup> .

فهو يُصوِّر حجم الفاجعة ، ويتجلى الأثر الداخلي قلقاً نفسياً عميقاً ، ولو فُدر لهذه الفاجعة أن كانت في الطبيعة لكان لها أثر أيضاً حيث تتبدد الصخور ، وما هذا التصوير إلا تثميناً أو تقييماً نفسياً على هذه الفاجعة الأليمة .

كما نجد في عصر صدر الإسلام من المرثيات المشهورة مرثية **أبو ذؤيب الهذليّ**

(26 هـ - 246 م) ، التي قالها في هلاك أولاده الخمسة ، وهي مرثية نظمها بعد الهجرة بما

يقرب عقدين من الزمن ، وهي قصيدة بمضمونها الفكريّ والعاطفيّ وأدائها الفئّيّ تنتمي

للعصر الجاهليّ ، فهي جاهليّة محضة وفي روحها العامة ، فعينية أبي ذؤيب الهذليّ

"أمن المنون وريبها تتوجع" أبياتها تحوي عواطف جديدة من عواطف الشعر الجاهليّ ،

وتتمثل في عاطفة الحزن لموت الشخص الحبيب إلى القلب العزيز على النفس .<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المرثي النبوية: ضمريّة : منسوبة الى ضمرة ، غوري : من الغور المنخفض من الأرض .

<sup>2</sup> المرجع السابق ، ص 50.

<sup>3</sup> : الشعر الجاهلي منهج في دراسته ج 2 ، محمد النويهي ، دار القومية للطباعة والنشر ، د ط ، القاهرة ، د ت ، ص 650

وهذه المرثية تدور على تجربة فظيعة ، فهو لم يمت له ولد واحد ، بل مات وهلك أولاده الخمسة ، وتعاقب موتهم سنة واحدة . وذلك عندما ذهبوا من موطنهم في الحجاز حيث قبيلة هذيل قرب مكة إلى مصر ، فأصابهم الطاعون. فقال الهذلي في مطلعها:

أَمِنَ الْمَثُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ	وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ
قَالَتْ أَمِيمَةٌ : مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا	مُنْذُ ابْتَدَلْتَ وَمِثْلُ مَا لِكَ يَنْفَعُ
أَمْ مَا لِحَبِّبِكَ لَا يُلَا بِمِ مَضْجَعًا	إِلَّا أَقْضَى عَلَيْهِ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
فَأَجَبْتُهَا أَنْ مَا لِجِسْمِي أَنَّهُ	أُودَى بَنِيَّ مِنْ الْبِلَادِ فُودَعُوا
أُودَى بَنِيَّ فَأَعْقُبُونِي حَسْرَةً	بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةَ مَا تَقْلَعُ <sup>1</sup>
وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أَدْفِعَ عَنْهُمْ	وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفِعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفِرَهَا	أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ
فَالْعَيْنُ بَعْدَ هُمْ كَأَنَّ جُفُونَهَا	سُمِلَتْ بِشَوْكٍ فَهِيَ عَوْرًا تَدْمَعُ <sup>2</sup>

من خلال أبيات هذه القصيدة يتجلى لنا أبو ذؤيب فيها بأنه رجل رقيق العاطفة ، للألم في نفسه صدى بعيد ، وقد هدته المصيبة هذا وهي شديدة من شأنها أن تحطم الإنسان تحطيمًا ، فبكى وحاول إخفاء الدَّموع ، وحاول أن يتظاهر بالتجلد ورباطة الجأش ، وإذا هو مغلوب على أمره ، يتقلب على سرير الأسرى والسَّهاد ، وإذا الألم على لسانه حكمة يرسلها في أذن الأجيال نعيًا للحياة والأحياء .

كما نجد شعراء آخرين اشتهروا في هذا العصر، منهم متم بن نويرة ، الذي رثى أخاه مالكا بقصيدة قال منها :

لَعْمَرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ هَالِكِ	وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ كَفَنَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ	فَتَى غَيْرَ مِبْطَانَ الْعِشَّاتِ أَرْوَعَا

<sup>1</sup> : الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، ج 2، محمد النويهي، دار القوية للطباعة والنشر ، د ط، القاهرة، د ت، ص 650 - ص 658 - 659 .  
<sup>2</sup> : الموجز في الادب العربي وتاريخه ، حنا الفاخوري ، ص 467 ص 468 .

وَلَا بَرْمًا تَهْدِي النَّسَاءَ لِعْرْسِهِ      إِذَا الْقَسْعُ مِنْ حَسِّ الشَّنَاءِ تَقَعَقَعَا .

لَيْبِبٌ أَعَانَ أَلْبَبٌ مِنْهُ سَمَاحَةٌ      خَصِيبٌ إِذَا مَا رَاكِبَ الْجَدْبِ أَوْضَعَا .<sup>1</sup>

ومن المرثي التي نُظمت في هذا العصر من قبل النساء مرثية ليلي الأخيالية (75 هـ - 695 م) وهي: ليلي بنت الأخيل من عقيل بن كعب، وكانت شديدة الجمال، فهويها "توبة بن الحمير" وقال فيها الشعر، ولما قُتل توبة في إحدى غاراته، فشق الأمر على ليلي، وراحت تذرف الدموع رثاء جميلا لمن أحببت، وهكذا بقيت إلى آخر حياتها لا تفلح عن البكاء والرثاء، فمن أروع شعرها في رثاء توبة ما سيأتي:

أَفْسَمْتُ أُرْثِي بَعْدَ تَوْبَةٍ هَالِكًا      وَأَحْفَلُ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَابِرُ .

لَعَمْرُكَ مَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى      إِذَا لَمْ تُصِبْهُ فِي الْحَيَاةِ الْمَعَابِرُ .

وَمَا أَحَدٌ حَيًّا ، وَإِنْ كَانَ سَالِمًا      بِأَخْلَدَ مِمَّنْ غَيْبَتْهُ الْمَقَابِرُ .

...قَتِيلُ بَنِي عَوْفٍ ، فَيَا لَهْفًا لَهُ      فَمَا كُنْتُ إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ أَحَاذِرُ .

...وَلَا تَأْخُذِ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا      لِتَوْبَةٍ فِي صِرِّ الشَّنَاءِ الصَّنَائِرُ

فُنِعِمَ الْفَتَى إِنْ كَانَ تَوْبَةً فَاجِرًا      وَفَوْقَ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ

فنلمس من أبيات قصيدة ليلي الأخيالية شعر الأنوثة الخافقة بالعاطفة والإخلاص، وهو شعر السلاسة والعذوبة والسهولة، وهو إلى ذلك شعر المتانة، الذي لا ينحط إلى مستوى الركاكة.<sup>2</sup>

كما يروى البلاذري قصيدة للسيّدة "أمنة بنت وهب" في رثاء زوجها "عبد الله بن عبد المطلب"، منها الأبيات الآتية:

عَفَا جَانِبَ الْبَطْحَاءِ مِنْ قَوْمِ هَاشِمٍ      وَحَلَّ بِلَحْدِ ثَاوِيًّا غَيْرَ رَانِمٍ

عَشِيَّةً رَاحُوا يَحْمِلُونَ سَرِيرَهُ      يَفْلُونَهُ مِنْ عِبْرَةٍ وَتَزَاحِمِ .

<sup>1</sup> : روائع من الشعر العربي، هاشم صالح مناع، دار الوسام، بيروت، ط2، 1991 م، ص 111، وينظر إلى موسوعة المبدعون، الرثاء الشعر العربي، ص 17 .  
<sup>2</sup> : الموجز في الادب العربي وتاريخه، حنا الفاخوري، ص 479، ص 480 .

وَدَعَتْهُ الْمَنَايَا دَعْوَةً فَأَجَابَهَا

وَمَا غَادَرْتَ فِي النَّاسِ مِثْلُ ابْنِ

هَاشِمٍ

ومما قالته السيّدة فاطمة الزّهراء ( رضي الله عنها ) في رثاء أبيها الرّسول صلّى الله عليه وسلم:

إِعْبِرَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُورَتِ

شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ ،

فَأَلَارِضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَنِيْبَةٍ

أَسْفَاً عَلَيْهِ كَثِيرُهُ الرَّجْفَانِ .

وقالت صفيّة بنت عبد المطلب ترثي الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلم:

أَلَا يَا رَسُوْلَ اللهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا

وَكُنْتَ بِنَا بَرًا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا،

وَكُنْتَ رَحِيمًا هَادِيًا وَمُعَلِّمًا

لِبَيْتِكَ عَلَيْنَا الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا،

لَعَمْرُكَ لَا أَبْكِي النَّبِيَّ لِفَقْدِهِ

وَلَكِنْ لِمَا أَخْشَى مِنْ الْهَرَجِ آتِيَا<sup>1</sup>

ومن الرثاء في الشعر العربي في فترة صدر الإسلام ، ما نجده عند حسان بن ثابت الأنصاري يرثي حمزة عبد المطلب ومن قوله :

فَإِنْ تَذَكَّرُوا قَتْلِي وَحَمْرَةَ فِيهِمْ

قَتِيلٌ ثَوَى اللهُ وَهُوَ مُطِيعٌ

فَإِنَّ جَنَانَ الْخُلْدِ مَنزَلَةٌ لَهُ

وَأَمْرَ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعٌ

وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ

حَمِيمٌ مَعًا فِي جَوْفِهِمْ وَضَرِيعٌ

كما نجد ممن اشتهرن في رثاء الإخوة ، الشاعرة المخضرمة الخنساء ( 575 هـ -

664م) ، التي بكت أخواها بكاء مرًا ، وأكثره على صخر ذو اليد الكريمة و القلب المحبّ العطوف ، ومنه هذه المقتطفات :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدَ

أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى؟

أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءِ الْجَمِيلِ

أَلَا تَبْكِيَانِ أَلْفَتَى السَّيِّدَا؟

<sup>1</sup> : موسوعة المبدعون ، الرثاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، من ص 11 إلى ص 13 .

طويل النَّجَادِ ، رَفِيعُ الْعِمَادِ

سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدًا<sup>1</sup>

وتقول أيضا :

...كَأَنَّ دَمْعِي لِذِكْرَاهُ إِذَا حَضَرْتُ

فِيضٌ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ مِدْرَارًا ،

تَبْكِي لِصَخْرٍ ، وَهِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ وَلَّهَتْ

وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التَّرْبِ أَسْتَارُ ،

...إِنَّ صَخْرًا لِمِقْدَامٍ ، إِذَا رَكَبُوا

وَإِنَّ ، صَخْرًا إِذَا جَاءُوا لِعُقَارُ .

وترثي كذلك أخواها معاوية في الأبيات الآتية فتقول :

لَعَمْرُ أَبِيكَ ، لِنِعْمِ الْفَتَى

تَحُشُّ بِهِ الْحَرْبُ أَجْدَالَهَا ،

فَنَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ فَقِيدٍ

أَبَتْ أَنْ تَزَايِلَ أَعْوَالَهَا ،

... وَ يَوْمًا تَرَاهُ عَلَى لَدَّةٍ

وَ عَيْشٍ رَخِيٍّ فَقَدْنَا لَهَا ،

فُحْرُ الشَّوَامِخِ مِنْ قَتْلِهِ

وَ زَلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا<sup>2</sup> ،

وَزَالَ الْكَوَاكِبُ مِنْ فَقْدِهِ

وَ جَلَلَتِ الشَّمْسُ أَجْلًا لَهَا<sup>3</sup>

عموما الرثاء في عصر صدر الإسلام ، عرف تطورا جديدا وأصبح بكاء الميِّت أدعية بالرحمة والمغفرة ، فاختلف هذا الفن بين جيل المسلمين وجيل الجاهليين ، فما نُظِم من شعر في هذا الغرض في عصر صدر الإسلام امتزج بما غرسه الدين الجديد من تعاليم وقيم وأخلاق ، واختلف في فكرة الموت بين الجاهلية والإسلام .

فالشعراء لم يكن في وسعهم أن تفيض عيونهم بكاء ، فحاولوا أن يكونوا خير مثال للصبر ، وبخاصة إذا كان المرثي شهيد أو قاتل حرب أو غزوة أو فتح .

وفي الرثاء الإسلامي ، نلمس ذكر الشاعر ما أعدَّ الله من ثواب الآخرة التَّنعَم بجنان الخلد ، وأثمهم عند ربِّهم يرزقون ، و تميّز رثائهم بحرارة الإيمان ، لأنَّه نابع من العقيدة .

<sup>1</sup> : الموجز في الأدب العربي وتاريخه مج 1 ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، ط 3 ، بيروت ، 1424 هـ - 2003 م ، ص 291 .

<sup>2</sup> موسوعة المبدعون، ص 15 - 16 - 17

2 المرجع السابق .

أضف إلى هذا نجد قاسما مشتركا بين الفترتين ، الجاهليّة والإسلام : هو أنّ الرّثاء كان يخرج من حيز اللّين إذ يتوعد الشّاعر القتال - أيّا كان - بحرب ضروس وهو بمثابة الثّأر، ولكن الاختلاف يكمن أنّ في الجاهليّة كان الثّأر تعبيرا عن الانتقام ، بينما في صدر الإسلام كان إعلاء لكلمة الله ونشر دينه الحنيف<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> : نقلا عن المراثي النبوية رسالة ماجستير ، احمد حاجي ، بتصرف ص 58 - 59 .







## ترجمة حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم :

**حسان بن ثابت الأنصاريّ ( ... - 54هـ - 563 م - 674 م )**

### **1 - مولده ونسبه :**

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن زيد مناة بن عدّي من بني مالك بن النّجار، والنّجار هو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج . ينتهي نسبه إلى قحطان فهو يمنيّ . وأم حسان هيّ الفريضة بنت خالد بن حُبَيْش من الخزرج أيضا . كان يكتبى أبا الوليد ، وأبا عبد الرحمان ، وأبا الحسام . وكان أبوه ثابت وجده المنذر من أشرف قومهم ، والحكام بين الأوس والخزرج .

ولد حسان في يثرب نحو عام 60 ق . هـ ( 563 م ) ، نشأ فيها شاعرا يتكسب بالشعر ، منتقلا بين بلاط جَلْق، وبلاط الحيرة ، وكان إلى الغساسنة أميل . وقد مدح من آل جفنة الغساسنة أولاد الحارث الأعرج وأحفاده . واستمر الغساسنة في بر حسان ووصله بالجوائز ، حتى بعد دخوله الإسلام واضرب عن مدحهم .

نشأة حسان بن ثابت كانت بالمدر أي من سكان المدن والقرى ، وعلى نشأته الحضرية كان متأثرا بالحياة البدوية ، ويظهر ذلك في شعره ، خصوصا ما قاله في جاهليته .

ولما ظهر الإسلام ، وهاجر النبي إلى يثرب أسلمت الأوس والخزرج وأسلم حسان ، فكان من الأنصار ، وانقطع إلى الرسول بمدحه ويرد عنه هجاء المشركين ، فلم يناصر الدين الجديد بسيفه ، ولم يكن يذهب مع المسلمين للقتال ، فاشتهر بجُبْنه ، بيد أنه إذا كان لم ينصر الدين بسيفه ، فقد نصره بلسانه، الذي كان سلاحه الوحيد الذي شهره على أعداء النبي صلى الله عليه وسلم فصار بذلك شاعر الرسول بمدحه ويردّ عليه على من يهجوّه من شعراء قريش أمثال عبد الله ابن الزبيري، وأبي سفيان بن الحارث، وعمرو بن العاص. وكان النبي يقول له: «**اهجم وروح القدس معك**»

ولم يكن لحسان في أيام أبي بكر وعمر نشاط سياسي، فلما جاء عثمان عادلّه شيء من العصية الجاهلية وأصبح عثمانيا يمالئ بني أمية على علي.

حسان بن ثابت من فحول الشعراء، كثير الشعر جيدة. غير أن شعره في الجاهلية أجود منه في الإسلام. قال الأصمعي: «**شعر حسان في الجاهلية أجود الشعر، فقطع متنه الإسلام**» وكذلك

علل فقال: «الشعر نكد، بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف. هذا حسان بن ثابت فحل فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره» وقد قيل لحسان: «لان شعرك، أو هرم في الإسلام يا أبا الحسام» فأجاب: «يا ابن أخي أن الإسلام يحجز عن الكذب، أو يمنع الكذب، وأن الشعر يزيّنه»

كانت أغراض شعر حسان في الجاهلية: المدح، والهجاء القبلي والشخصي وكذلك الرثاء الخمر والحماسة والفخر والغزل. وظلت هذه الأغراض في الإسلام، سوى أنه وقف مدحه على الرسول صلى الله عليه وسلم، وقصر هجاءه على المشركين الذين تعرضوا للرسول والإسلام. واكتسب شعره في الإسلام كثيرا من العذوبة والإخلاص، فهو في نضاله عن الرسول صلى الله عليه وسلم يصور عصره أصدق تصوير، بما فيه من مناضلة بين الإسلام والشرك. كثرت في شعره التعابير الإسلامية والاقتراس من القرآن الكريم .

وحسان في خليق أن يسمى «رأس البديعيين» فهو الذي بدأ فنّ الشعر في المديح النبوي.

قال أبو عبيدة: «فضل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام»

وقال الحطيئة: «أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشهر العرب حيث يقول :

يغشون حتى ما تهركلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وشهد له النابغة لما سمعه في الجاهلية، فقال له: «إِنَّكَ لَشَاعِرٌ».

كلّ هذا يدلّ على أن حسان بن ثابت كان شاعرا فحلا، متصرفا في فنون الشعر كلها.

وقد عرفت ديجاجته بنقاوتها وجزالتها وسهولة ألفاظها وقد أجمع الرواة على أنه : «أشعر أهل

المدر»

كف بصره، وأسن حسان كثيرا، وتوفي في المدينة سنة (54هـ) (674 م)، وقيل أنه

عاش مئة وعشرين سنة (120)، منها (60) في الجاهلية، وستين (60) في الإسلام .

## شعره في الرسول صلى الله عليه وسلم :

لحسان بن ثابت ديوان شعر أكثره في الهجاء ، وقد وزع باقيه ما بين مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، والفخر بالأنصار ومدح الغساسنة والنعمان بن المنذر، ووصف مجالس اللهو والخمر .<sup>1</sup> فسأقتصر في هذا الباب من بحثي، بالتركيز على ما قاله شاعرنا الأغرّ في مدح الرسول الكريم، ومعاملاته لأصحابه ومع الأنصار، وفي غزواته وفتوحاته ، مدرجة بعض الأبيات وشرحها. قال حسان شاعر النبوة في مدحه للرسول:

فُدُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

شَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ كَيْ يُجِلَّهُ،

مِنَ الرَّسُلِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأَرْضِ تُعْبَدُ

نَبِيٌّ أَنَا بَعْدَ يَأْسٍ وَقَفْرَةٍ

يَلُوحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنْدُ

فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنِيرًا، وَهَادِيًا،

وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ ، فَالَلَّهُ نَحْمَدُ

وَأَنْدَرْنَا نَارًا وَبَشَّرَ جَنَّةً،

بِذَلِكَ مَا عَمِرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ

وَأَنْتَ إِلَهُ الْحَقِّ رَبِّي وَخَالِقِي،

سِوَاكَ إِلَهًا ، أَنْتَ أَعْلَى وَأَمْجَدُ

تَعَالَيْتَ رَبَّ النَّاسِ عَنْ قَوْلِ مَنْ دَعَا

فَأَيَّاكَ نَسْتَهْدِي ، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ

لَكَ الْخَلْقُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ،

جِنَانُ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ، فِيهَا يُخَلَّدُ .<sup>2</sup>

لَأَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ كُلَّ مُوَحِدٍ

فحسان في هذه الأبيات يقول: بأن الله سبحانه أعطى رسولنا الكريم اسم محمد، وهو مشتق من اسمه «المحمود» ، وذلك لإجلاله والإعلاء من شأن عبده ، الذي اختاره ليكون حاملا لرسالته للبشرية، ويضيف بأنه جاءنا بعد فترة من الزمن، كان فيها الناس يعبدون الأوثان في الأرض، وبعدهما سبقه رسل بعثهم الله . فكان لنا الرسول مصباحا وسراجا أثار حياتنا ، التي كنا فيها " أي الجاهلية " ، وهدانا لطريق الحق وتقوى الله ، وشبه سيدنا محمد بأنه يلوح كما لاح السيف القاطع في يد صاحبه جهادا لنشر الرسالة.

<sup>1</sup> : الموجز في الأدب العربي وتاريخه المجلد 1 ، حنا الفاخوري ، ص 455

<sup>2</sup> : ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص 92

ويواصل قوله بأنه انذرنا من النار وبشّرنا بجنة النعيم ، وعلمنا الإسلام وعلى ذلك  
نحمد الله العزيز ، ويصرح حسّان بأنّ الله هو الإله الحقّ خالقي  
وأشهد على ذلك مدى حياتي ، له الخلق والنعم والأمر كلّه فإياه نستهدي وإياه نعبد .ومن مدحه  
كذلك نجده يقول :

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي، وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ  
خُلِقْتَ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، كَأَنَّكَ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ<sup>1</sup>.

هنا في هذه الأبيات نجد حسّان في مدحه يعظم من شأن الرّسول الكريم فيقول : أنّه أحسن منك  
لم ترى عيني فوق الأرض ، ولا يوجد لجمالك ولم تضع النّساء أحدا يُشبهك . خلقت خالي العيوب  
كأنك كما أردت أن تكون .

ومن شعره ما قاله في غزوة بدر الموعد ، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم ، واعد قريشا إليها  
فوفى الرّسول عليه الصلاة والسلام ، فأتاها ولم تأت قريش فيقول :

أَقْمَنَا عَلَى الرَّسِّ النَّزِيغِ لِيَالِيَا، بِأُرْعَنِ جَرَّارِ عَرِيضِ الْمُبَارِكِ  
بِكُلِّ كَمِيْتٍ ، جَوْزِهِ نَصْفِ خُلُقِهِ، وَقَبَّ طَوَالٍ ، مَشْرِقَاتِ الْحَوَارِكِ  
تَرَى الْعَرْفِجَ الْعَامِيَّ تَذْرِي أَسْوَلَهُ، مَنَاسِمِ أَخْفَافِ الْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ  
إِذَا ارْتَحَلُوا مِنْ مَنْزِلٍ خَلْتِ أَتَهُ، مَدْمَنَ أَهْلِ الْمَوْسِمِ الْمُتَعَارِكِ  
...بَايِدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ، وَانصَارَهُ حَقًّا وَايِدِي الْمَلَاعِكِ  
... ابلِغْ ابا سَفِيَانِ عَنِّي رِسَالَةً، فَإِنَّكَ مِنْ شَرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري ، ص10

: موسوعة شعراء العرب ، من العصر الجاهلي الى العصر الإسلامي ، ديوان حسّان بن ثابت دار البدر للطباعة للنشر ، د ط ، د ت ، الجزائر . ص  
169<sup>2</sup>



## رثاء حسان بن ثابت في الرسول صلى الله عليه وسلم

لما أفل كوكب الرسالة المحمدية ، استحالت المدينة قلبا واحدا يحترق لوعة وأسى ، ويفيض حسرة لهذا الحدث الذي كان له بالغ الأثر في نفوس المسلمين ، وبقلوب واجفة وعيون باكية ، شيعه الصحابة وجموع المسلمين إلى مثواه العطر ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أجلاهم في الموقف على الرغم من تمكن الحزن من قلبه ، حيث خطب يوم السقيفة ، فبدأت السكينة تنزل على النفوس ، وبذلك وحد صفوفهم ووطد أركان الدين .

فكان التعبير عن هذا الحدث نثرا وشعرا ، حيث قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وا نبياه ، واصفياه ، وا خليلاه صدق الله ورسوله : ( **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** )<sup>(1)</sup>، فهذا النموذج من الندب للرسول في النثر. وبالمقابل نجد نماذج كثيرة في رثاء الرسول شعرا وخاصة منها مرات حسان بن ثابت والتي نذكر منها ما يأتي

كُحِلَّتْ مَاقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ	مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدْ	جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ ، أَصْبَحَ ثَاوِيًا
عُيِّبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْعَرَقَدِ	جَنَّبِي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لِيُنْتَبِي
فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي	بِأبي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ
يَا لَهْفَ نَفْسِي لِيُنْتَبِي لَمْ أُولَدْ <sup>2</sup>	فَظَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَدِّدًا ،

فشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، يعبر عن حجم المصيبة التي ألمت بالمسلمين ، فجادت قريحته بهته الأبيات التي يبكي فيها النبي ، فهو لا يعرف للنوم طعاما ، جزعا لوفاة خير خلق الله ، ويرجو عدم ابتعاده ، ويُظهر لهفه بحماية المصطفى من تراب القبر، ويتمنى لو دفن قبله ، ويذكر يوم وفاته الذي

شده ولم يبق من بعد هذه المأساة ما يستحق العيش لأجله، ويضيف ليثه لو لم يولد لكي لا يرى هذا المنظر.

1 : نقلا عن المراشي النبوية ، احمد حاجي ، بتصرف ، ص 65

2 : ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص 57



فراثته جاء معبرا عن ما يجول في نفسه من أحاسيس الحزن، ومدى تأثره لفقد النبيّ، والألفاظ هذه الأبيات تخدم الموقف ، وهي سهلة بعيدة عن الغموض ، تحمل صورا وتبين ما أحدثته منية الرسول في حسّان ، ومرآته يؤثر في قارئ شعره ، وأسلوب حسّان واضح ومتين وتراكيبه متناسقة ، يحاول شاعرنا التعبير عن خلجات نفسه ومدى خسارة البشرية للمصطفى عليه الصلّاة والسّلام .

كما نجده في موضع آخر في رثاءه يذكر بأنّ فراق الرسول، هو فراق للخير ، والمناقب الحميدة ، فهو يقول :

نَبِّ الْمَسَاكِينِ أَنَّ الْخَيْرَ فَارَقَهُمْ      مَعَ النَّبِيِّ تَوَلَّى عَنْهُمْ سِحْرًا  
كَانَ الضِّيَاءَ وَكَانَ الثُّورَ نَتْبَعُهُ      بَعْدَ الْإِلَهِ وَكَانَ السَّمْعَ وَالْبَصْرَ ا

ويقول أيضا :

تَا اللَّهُ مَا حَمَلْتُ أَنْتَى وَلَا وَضَعْتُ      مِثْلَ النَّبِيِّ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ الْهَادِي  
وَلَا مَشَى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ      أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادٍ<sup>1</sup>

فهذا الخير يتضمن كل ما اتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان نورا اصطفاه الله جلّ وعلا ، ليخرج الناس من الظلمات إلى نور الهداية ، وإلى الطريق المستقيم، وهو يتفرد وحده عليه السّلام في صفاته لا يمكن أن نجدها في الآخرين .

مراثي الرسول صلى الله عليه وسلم ، نجد فيها محاولة الشاعر الوصول إلى الصورة الكاملة ، التي يشكلها نموذج المثال الإنساني ، إذ عبر حسّان بن ثابت عما ارتبطت به الحواس ، كما المدركات البصرية الناتجة عن مشاهدة أحوال النبيّ عليه الصلّاة والسّلام، وما اتصف به من كرم وسماحة وما في حكم هذه المعاني ، وكانت تجسيدا للمثال الحيّ للكمال الإنسانيّ ، ونجد هذا في الأبيات الآتية :

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مَحْضٌ مَشَارِبُهُ      سَمَحَ الْخَلِيقَةَ عَفٌّ غَيْرَ مِجْهَالٍ  
عَفٌّ مَكَاسِبُهُ جَزَلٌ مَوَاهِبُهُ      خَيْرَ الْبَرِيَّةِ سَمَحٌ غَيْرَ شِمْلَالٍ . . .

1 : شرح ديوان حسّان بن ثابت ، صنعة وضبط الديوان وصححه ، عبد الرحمن البرقوقي ، مطبعة الرحمانية ، مصر ، 1347 - 1969 .

وفي موضع آخر يقوم الدعاء بديلا على التعزية فهو يقول :

يَا رَبُّ اجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِينَا  
فِي جَنَّةِ نُنْبِي عَيْونَ الحُسَدِ

فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ وَاكْتُبْهَا لَنَا  
يَا دَا الْجَلالِ وَدَا العُلا وَالسُّودِدِ<sup>1</sup>

فهذه الأبيات وغيرها تجسد الدعاء بالجنة : وهي أقصى ما يمكن أن يعبر عنه الشاعر، حين يفتتح بفكرة الموت ، فيتجاوز الحياة إلى ابعدها منها.

ويقول في رثاءه أيضا:

كُنْتَ السَّوَادَ لَنَاظِرِي ،  
فَعَمِيَّ عَلَيْكَ النَّاظِرُ

مَنْ سَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْمَتْ  
فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحاذِرُ<sup>2</sup>

وفي يوم دفن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

الْاَدْفَنُكُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطِ  
مِنَ الْأَلْوَةِ وَالْكَافُورِ مَضُودُ<sup>3</sup>

كما يندبه ويصر على البكاء في قوله:

يَا عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِ مِنْكَ إِسْبَالُ  
وَلَا تَمَلَنَّ مِنْ سُحِّ وَ إِعْوَالِ ،

لَا يَنْفَذَن لِي بَعْدَ الْيَوْمِ دَمْعُكُمْ  
إِنِّي مَصَابٍ وَلَسْتُ بِالسَّالِي.

فمن حب الشاعر للرسول عليه الصلاة والسلام ، وشعوره بهول الفاجعة وأثرها العميق في نفسه ، ألا يجعل البكاء ظرفيا بل طول حياته ، فهي مصيبة اعترت المسلمين بعامة غير قابلة أن تمتد إليها أيدي النسيان<sup>4</sup>.

لحسان بن ثابت مرات في الرسول ، أشهرها تلك الدالية المتكونة من 46 بيتا ، منها

المقطع الآتي

بَطِينَةَ رَسْمٍ لِلنَّبِيِّ وَمَعْهَدُ  
مُنِيرٌ ، وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ

وَلَا تَمْحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حَوْمَةٍ  
بِهَا مَنَبِرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ

1 المرآة النبوية ، رسالة ماجستير ، احمد حاجي ، ص 84 ، ص . 87

2 ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص 94

3 موسوعة شعراء العرب ، من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، ديوان حسان بن ثابت ، دار البدر للطباعة والنشر ، الجزائر ، ص . 72

4 المرآة النبوية ، رسالة ماجستير ، احمد حاجي ، ص 69 ، ص . 70

وَوَاضِحَ آيَاتِ وَبَاقِي مَعَالِمِ  
بِهَا حُجْرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا  
يُذَكِّرُنَ آلَاءَ الرَّسُولِ ، وَمَا أَرَى  
مُفَجَّعَةً قَدْ شَقَّهَا فَقَدْ أَحْمَدَ  
فَبُورِكْتَ، يَا قَبْرَ الرَّسُولِ، وَبُورِكْتَ  
وَهَلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رَزِيَّةً هَالِكِ  
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ ؛  
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحِيدُوا عَنْ الْهُدَى ،  
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ ،  
فَبِكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةٍ  
رَبَّاهُ وَوَلِيدًا - فَاسْتَنْمَ تَمَامُهُ  
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ ،  
فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يَفْنَدُ<sup>1</sup>

تتميز ألفاظ وعبارات الآبيات السالفة بالفصاحة وشرف المعاني ، وخلوها من البشاعة والتعقيد ، ولا نجد فيها من الغريب ، مرآثي ألفاظها دينية إسلامية ، وتحدث انفعالا في نفس المتلقي، فهي ذات دلالات إيحائية تشيع في النفس حركة تنسجم مع إيقاعات موسيقاه الداخلية . هناك تكرار للصيغ له دلالة بلاغية ونفسية. وأسلوب مرآثي حسان متنوع وهو من السهل الممتنع، نلاحظ سهولة التعبير وسلاسة الأداء والدقة في التراكيب، وإيراد المعنى المقصود بسياق جيد الحبك جديد الأسلوب .

1 تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ ج 1 ، دار العلم للملايين ، بيروت ،

## خاتمة :

— يعتبر الرثاء من أرقى فنون الشعر ،فهو موطن العاطفة الحزينة ، والتعبير الصادق عن المشاعر في لوعة وتفجع ، التي تنبع من أعماق النفس ، والتي أصيبت في فقد عزيز يتزل منزلة الأحبة ، ويقوم الشاعر بوصف المرثي بجميع الصفات التي يصف بها الممدوح ،إلا أن هناك أدلة على أن هذا الشعر يقال في ميت .

— يتوزع التعبير في الرثاء عن عاطفة قد تكون عاطفة أخوة أو أبوة أو أمومة ... أو عاطفة العلاقة الاجتماعية بين الشاعر وإشراف قبيلته وغيرها .

— رثاء العصر الجاهلي تعبير عن المشاعر حارقة ممزوجة بالعصبية الجاهلية ،ومن الملامح الملموسة في المراثي عدم التسليم بقضاء الله وقدره .

— الرثاء في عصر صدر الإسلام عرف تطورا جديدا ، فأصبح البكاء أدعية بالرحمة والمغفرة ، ولم يكن في وسع الشعراء أن تفيض عيونهم بكاءً ، إذ حاولوا أن يكونوا خير مثال للصبر ، وخاصة إذا كان المرثي شهيدا في غزوة أو فتح .

— فُجعت الأمة الإسلامية بموت الرسول صلى الله عليه وسلم فبرزت على الساحة مرث في شخصه الكريم بكاءً وحسرة على فقده ، فكانت هذه المراثي عظيمة جليلة عظم وجلال صاحبها .

— وممن اشتهر في نسج المراثي النبوية ،شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم «حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري» .

— كان نظمه في سيد الخلق صادقا وراقيا ، تجلّى في وصفه ومدحه وتعاملاته واختصاصه بالرسالة .

— مراثيه في المصطفى تعبير عن إحساسه في لوعة وبكاءٍ وتفجع لفراقه ، نلمس فيها القيم الإسلامية بأسمى المعاني وأعذب الأساليب مبينا أخلاقه ، فتعايره جميلة متشعبة بتعاليم الدين الإسلامي وألفاظه عذبة جميلة ، وأسلوبه واضح سهل ممتنع ، يرثي فيه الحبيب المصطفى عليه أركى الصلوات والتسليم .

## قائمة المصادر والمراجع

- 1 - القرآن الكريم
- 2 - الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام ، حسن جاد حسن ، دار العرب ، د ط ، دمشق ، 2012 .
- 3 - أدباء العرب في الجاهلية والإسلام ، بطرس البستاني .
- 4 - أساس البلاغة ، الزمخشري ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة ، د ط ، لبنان ، د ت .
- 5 - الإكليل ، أبو محمد الحسن ، تعليق نبيه أمين فارس ، دار العودة ، د ط ، بيروت ، د ت .
- 6 - تاج العروس في جواهر القاموس مج 10 ، الزبيدي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د ط ، بيروت ، د ت .
- 7 - تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، ط 4 ، بيروت ، 1981 .
- 8 - تاريخ آداب العرب ج 3 ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتب العلمية ، د ط ، لبنان ، د ت .
- 9 - تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، مصطفى ألسيوفى ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ش م م ، ط 1 ، مصر ، 2008 م .
- 10 - ديوان حسّان بن ثابت الأنصاري ، دار صادر ، د ط ، بيروت ، د ت .
- 11 - ديوان الخنساء ، دار الأندلس ، ط 8 ، بيروت ، 1981 م .
- 12 - ديوان النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي الشهير ، نفلا عن ديوان الشعراء الخمسة ، مطبعة الهلال بالفجالة ، مصر ، 1911 م .
- 13 - الرثاء ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط 2 ، مصر ، 1955 م .

- 14 - روائع الشعر لعربي ، هاشم صالح مناع ، دار الوسام ، ط 2 ، بيروت ، 1991 م .
- 15 - شرح ديوان حسّان بن ثابت ، صنعه وضبط الديوان وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية ، د ط ، مصر ، 1347 هـ - 1969 م .
- 16 - شاعرات العرب ، تحقيق عبد البديع صقر ، منشورات المكتب الإسلامي ، ط 1 ، قطر ، 1387 هـ - 1967 م .
- 17 - الشعر الجاهلي منهج في دراسته ج 2 ، دار القومية للطباعة والنشر ، د ط ، القاهرة ، د ت .
- 18 - شعراء النصرانية ، لويس شيخو ،
- 19 - لسان العرب ج 1 ، ابن منظور ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، لبنان ، 1424 هـ - 2003 م .
- 20 - المراثي النبوية في عصر صدر الإسلام ، رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير ، احمد حاجي ، السنة الجامعية 1422 هـ - 1423 هـ / 2001 م - 2002 م .
- 21 - المجاني الحديثة ج 1 ، فؤاد إفرام البستاني .
- 22 - منجد الطلاب ، نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد إفرام البستاني ، دار المشرق ، ط 22 ، لبنان ، 1986 م .
- 23 - الموجز في تاريخ الأدب العربي وتاريخه مج 1 ، حنا الفاخوري ، دار الجيل ، ط 3 ، بيروت ، 1424 هـ - 2003 م .
- 24 - موسوعة الشعراء العرب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، ديوان حسّان بن ثابت ، دار البدر ، د ط ، الجزائر ، 2011 م .
- 25 - موسوعة المبدعون ، الرثاء في الشعر العربي ، سراج الدين محمد ، دار الراتب الجامعية ، د ط ، د ت .

## الفهرس

مقدمة

- 1.....تمهيد
- مفهوم الرثاء
- 5..... الرثاء في اللغة
- 6..... الرثاء في الاصطلاح
- 7..... أ - التَّدب
- 7..... ب - التَّأبين
- 7..... ج - العزاء
- 8..... الرثاء في العصر الجاهلي
- 15..... الرثاء في عصر صدر الإسلام
- 25..... ترجمة حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم
- 27..... شعره في الرسول صلى الله عليه وسلم
- 30..... رثاء حسان بن ثابت في الرسول

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

## الخلاصة

يعتبر الرثاء أجود شعر العرب ، وهو نابع عن أصدق المشاعر ، لأن في قوله احتراق ولوعة وتفجع ، على من يتزلون منزلة المحبة.

مشوار الرثاء عبر العصور اختلف ، ففي الجاهلية كان ممزوجا بما كان قائما في ذلك العصر من تعصب ، والاعتقاد السائد عن فكرة الموت ، ومنها الأخذ بالتأثر ، وفي العصر الإسلامي المراثي تأثر شعراءها بتعاليم الدين وأصبح التعبير أرقى وأقوى.

مراثي الرسول صلى الله عليه وسلم من أجمل ما قيل من الرثاء ، وحسان بن ثابت أحد الفحول العرب ، ورائد من رواد المراثي النبوية ، فعبّر عن فقد الرسول بإحساس صادق ، ومشاعر مأثرة ، وألفاظه أنيقة ، وبأساليب تقوم بمقام سيّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم .

## Summary

Elegy is considered to be the best Arab poetry It originates from the truest feelings because in its utterance there are burning , anguish and plaint on whom they elegized because of their loving them · the history of elegy has differed throughout periods · In pre – Islamic (Djahiliyah period ) period , at that time , it was mixed with what existed such as intolerance and the common belief of the idea of death among which there was the reprisal · during the Islamic era , those who composed elegies were influenced by the teachings of the new religion and their expression became highest and strongest ·

The elegies or lamentations said when the prophet Muhammad (P B·U·H)died were the best ones· Hassan Ibn Thabbit was one of the greatest and most leading prophetic elegies ·He expressed that with a true feeling and strong and influential emotions because of the bereavement of the prophet – the chosen one – His words were smart and the styles he used really suited the highest rank of the best creature Muhammad Allah's salutations and blessings upon him ·

## Résumé

L'élégie est considérée chez les arabes comme la poésie la plus sublime car elle exprime sincèrement les sentiments du poète ainsi que sa tristesse et son amour pour ses proches. Cette poésie a connu à travers les âges plusieurs mutations. Ceci était lié aux croyances relatives à chaque époque et également lié à l'idée de la mort et de la vengeance .

A l'époque islamique l'élégie était étroitement influencé par les préceptes et les dogmes de l'Islam, ce qui adoucit et anoblit les sentiments exprimés par ce genre poétique

Parmi les élégies de cette époque, on peut citer celle de Hassan Ibn Tabit qui y consacre une grande partie de sa poésie à l'élégie du prophète(QSSL).

On y retrouve un sentiment noble et sincère, chose qui se reflétait dans son style ainsi que dans le choix de son vocabulaire, un vocabulaire digne de la place du prophète (QSSL) chez tous les musulmans.